الصاعقة الأولى بعد المئة: إذا كان مدحٌ فالنسيبُ المقدَّمُ(*)

إذا كان مدحٌ فالنسيبُ المقدَّمُ ... أكلّ فصيح قالَ شعراً متيَّمُ

لحبِّ ابنِ عبدالله أولى فإنهُ ... به يبدأُ الذكرُ الجميلُ ويختمُ

أطعتُ الغواني قبل مطمحِ ناظري ... إلى منظرٍ يصغُرْنَ عنه ويعظمُ

تعرَّضَ سيفُ الدولةِ الدهرَ كلَّهُ ... يُطبِّقُ في أوصالِه ويُصمِّمُ

فجازَ له حتى على الشمسِ حكمُهُ ... وبانَ له حتى على البدرِ ميسمُ(١)

كأنَّ العدى في أرضِهمْ خلفاؤهُ ... فإنْ شاءَ حازوها وإنْ شاءَ سلّمُوا

ولا كُتْبَ إلا المشرفيةُ عندهُ ... ولا رسلَ إلا الخميسُ العَرمرَمُ

فلم يخلُ منْ نصرٍ له مَنْ له يدٌ ... ولمْ يخلُ منْ شكرٍ له مَنْ له فمُ

ولم يخلُ منْ أسمائه عودُ منبرٍ ... ولم يخلُ دينارٌ ولم يخلُ درهَمُ

ضروبٌ وما بينَ الحسامين ضيقٌ ... بصيرٌ وما بين الشجاعين مُظلِمُ

تباري نجومَ القذفِ في كلِّ ليلةٍ ... نُجُومٌ له منهنَّ وردٌ وأدهمُ

يطأن من الأبطال من لا حملنهُ ... ومن قصد المرّان ما لا يُقوّمُ(٢)

فهنَّ معَ السيدانِ في البرّ عُسَّلٌ ... وهنَّ معَ النينانِ في الماءِ عوَّمُ(٣)

(*) مناسبة القصيدة: قالها حين أمر سيف الدولة غلمانه أن يلبسوا، وقصد ميافارقين في خمسة آلاف من الجند وألفين من غلمانه ليزور قبر والدته.

(١) الميسم: أثر الحسن. (٢) المران: الرماح اللينة.

(٣) السيدان: الذئاب. النينان: جمع نون: الحوت. العسّل: التي تضطرب في عدْوِها.

وهنَّ مع الغـزلانِ في الوادِ كـمَّنٌ ... وهنَّ مع العقبانِ في النِّيقِ حوّمُ[١]

إذا جلبَ الناسُ الوشـيجَ فـإنهُ ... بهنَّ وفي لبـاتِهنَّ يُحطّمُ

بغـرّته في الحربِ والسلم والحِجَا ... وبذلِ اللها والحمدِ والمجدِ مُعلِمُ

يُقـرُّ لهُ بالفـضلِ منْ لا يَوَدّهُ ... ويقـضي لهُ بالسَّعدِ منْ لا يُنجِّمُ

أجـارَ على الأيامِ حـتى ظننْتُـهُ ... تطالبُـهُ بالرّدِّ عـادٌ وجـرهُمُ

ضـلالًا لهـذي الريحِ مـاذا تُريدُهُ ... وهديًا لهـذا السـيلِ مـاذا يؤمُّ

ألم يسـألِ الوبلُ الذي رام ثَنْيَنَا ... فـيخبـرَه عنكَ الحديدُ المثلَّمُ

ولما تلقَّـاكَ السـحابُ بصـوبِه ... تلقَّاهُ أعلى منه كعبًا وأكـرمُ[٢]

فـباشرَ وجهًا طالما باشرَ القنا ... وبلَّ ثيـابًا طالما بلّهـا الدمُ

تلاكَ وبعضُ الغيثِ يتبعُ بعضَهُ ... منَ الشـأمِ يتلو الحاذقَ المتعلمُ

فـزارَ التي زارتْ بكَ الخيلُ قبرَها ... وجشّمَهُ الشوقُ الذي تتجشّمُ

ولما عـرضتَ الجيشَ كانَ بهاؤهُ ... على الفارسِ المرخى الذؤابةِ منهمُ

حواليْه بحرٌ للتجافيفِ مائجٌ ... يسيرُ به طودٌ منَ الخيلِ أيهمُ[٣]

تساوتْ به الأقطارُ حتَّى كأنهُ ... يجمِّعُ أشتاتَ الجبالِ وينظمُ

وكلُّ فتى للحربِ فوقَ جبينه ... منَ الضربِ سطرٌ بالأسنةِ معجمُ

---

(١) النيق: أعلى موضع الجبل.

(٢) الصوب: الانسكاب. الكعب: الشرف والمجد.

(٣) التجافيف: جمع تجفاف: شيء يلبسه الفرس كالدرع. الأيهم: الذي لا يهتدي فيه.

يمدُّ يديْهِ في المفاضةِ ضيغمٌ ... وعينيْه منْ تحتِ التّريكةِ أرقمُ

كأجناسِها راياتُها وشعارُها ... وما لبستْهُ والسلاحُ المسمَّمُ

وأدبَها طولُ القتالِ فطرفُهُ ... يشيرُ إليها منْ بعيدٍ فتفهمُ

تجاوبُهُ فعلًا وما تسمعُ الوحى ... ويسمعُها لحظًا وما يتكلمُ[1]

تجانفُ عنْ ذاتِ اليمينِ كأنها ... ترقّ لميّافارقينَ وترحَمُ[2]

ولو زحمتْها بالمناكبِ زحمةٌ ... درتْ أيُّ سوريها الضّعيفُ المهدَّمُ

على كلِّ طاوٍ تحتَ طاوٍ كأنّهُ ... منَ الدَّمِ يُسقى أو من اللّحم يُطعَمُ

لها في الوغَى زيّ الفوارسِ فوقَها ... فكلّ حصانٍ دارعٌ متلثّمُ

وما ذاك بخلًا بالنفوسِ على القنا ... ولكنَّ صدمَ الشرّ بالشرِّ أحزَمُ

أتحسبُ بيضُ الهندِ أصلَكَ أصلَها ... وأنكَ منها؟ ساءَ ما تتوهّمُ

إذا نحنُ سميناكَ خلْنا سيوفنا ... منَ التيهِ في أغمادِها تتبسّمُ

ولمْ نرَ مَلْكًا قطّ يُدعى بدونِهِ ... فيرضَى ولكنْ يجهلونَ وتحلُمُ

أخذتَ على الأرواحِ كل ثنيّةٍ ... منَ العيشِ تعطي من تشاءُ وتحرِمُ

فلا موتَ إلا منْ سنانكَ يُتقَى ... ولا رزقَ إلا منْ يمينكَ يُقسَمُ

(١) الوحى: الصوت.

(٢) تجانف: تمايل.